أَطْيافٌ حُرَّةٌ

(قصائد نثريَّة وهايكو من ضوء الدّاخل)

نورهان حميدان

مقدمة

"أطياف حرة" ليس مجرد كتاب شعر، بل هو دفتر قلبي. كتبت هذه القصائد في لحظات كنتُ فيها كل شيء عاشقة غريبة، حزينة، متمردة، ومجرد ابنة تبحث عن ظل أبيها، ويد أختها.

كل نص هنا حمل جزءاً منّي من وحدتي ومن عملي ومن خوفي ومن قصائدي التي نضجت على نار الحياة.

كتبت لأشفى، وربما لأخبر من يقرأ، أن الشعر ليس نجوماً فوق الورق بل هو وجوة أحببناها، وفقدناها، وروائح لا تُغسل من الذاكرة وأطياف... ما زالت حرة.

"ولأن الشعر يتنفس بأشكال كثيرة، اخترت أن يكون لهذا الكتاب جناحان أحدهما نثر، والآخر هايكو... بينهما هواء".

الإهداء

إلى أبي...
الذي علّمني أن الحنان قوّة،
ورحل قبل أن يراني أزهر.

وإلى أختي...
رفيقة الطفولة ووجعي الصامت،
التي مضت، وتركت في قلبي غرفة لا تُغلق.

إليكما،
كل هذا الكتاب دمعة مؤجّلة،
وحنين لا يشيخ،
وكلمات كان يجب أن تُقال،
فقلتُها عنكما... ولكما.

طبق أحبّني من دون شروط

لم يسألني إن كنتُ حزينة،
ولا حاول أن يُغيّرني...
كان فقط هناك،
ينتظرني بصبرِ الطناجر،
ودفءِ القدر على نارٍ هادئة.

بسيطٌ كأنفاسي حين أُحبّ،
صادقٌ كضحكتي الأولى في الصباح،
كلّ ما فيه يقول لي:
"لا داعي للتجمّل... أنتِ كما أنتِ، كافية."

ما كان يملكُ أعينًا،
لكنّه رآني
أوضحَ من كلّ الذين حدّقوا في وجهي ولم يفهموا.

أكلتُ منه،

لا لأشبع،

بل لأشعر أن هناك من يحتضنني

من الداخل...

أوّلُ لقمةٍ منه، سُحرتُ بمذاقه،

أعدتُ الكرّة

لأجدني أستمتع به على أنغامِ الدّانوب الأزرق...

سألته: لمَ انتظرتني طويلًا لأطهوك؟

أجابني بخجل:

"نارُك هادئة... تُحرّك قلبي ببطء، كنتُ فرحان..."

"وهل تحبُّ توابلي؟" سألته.

"أُحبّ يدك وهي تسكبني"،

أجابَ بحياءٍ.

طبقٌ أحبّني
وأنا لا أملكُ سوى ملعقةٍ خشبيةٍ
أُقلّبُ بها رقاقاتِ قلبي المُهترئ...

كم نحتاجُ لأطباقٍ كهذه في حياتنا؟!

جغرافيا الحُلم

في مهد صدى الأهل،
وأرض الزيتون،
تتراقص الأشجار على أنغام الريح،
أنتِ غاية العاشقين،
وحُلم اللاجئين،
يا فلسطين، يا مهد الحنين.

تُراق الدماء على تُرابٍ،
يمسح شعبُك الدموع،
ويبحث عن أشلاء أطفاله
تحت الركام...
الذي كان يومًا عشًّا، وذاكرةً، وعزوة.

في كل سوقٍ، وفي طعم العصائر،

تسكن الأحاديث، وتنبض المشاعر،
كنتِ قِبلة العالمين،
العاشقين، والضالّين.

كانوا أجنّةً يحملون رايات المقاومة،
يعلنون حبّهم لك،
ويكتبون التاريخ بالحجارة.
صاروا رجالًا يحملون البنادق،
ويركضون خلف حلم الطفولة.

ينساب الحلم فيكِ كجديلةٍ بين أغصان الزيتون،
وتُنسج حكايا الشهداء على أعمدة الياسمين،
أمّهاتٌ يجبلن الصابون بدماء قلوبهنّ:
"يا جرحي، يا ولدي... يا حبيبي."

عبر شواطئ الذاكرة، تسافر الأرواح،
تبحث عن عودة الجليل، وغزّة، والأقصى،

تفتّش في أيامها عن سلام
يعلو أعواد الشوق.

فلسطين...
اسمُك لا يُنسى، بل يُغلى،
فلسطين... يا جغرافيا الحُلم.

وحيدة... لكنني أسمعني

في الزاويةِ الهادئةِ من حياتي،
أجلسُ على رُكنِ الصمت،
أتبادلُ الحديثَ مع ظلّي،
أشربُ من فنجانٍ لم يسكبه أحد،
وأضحكُ لشيءٍ لم يقُله أحد...

كلُّ المقاعدِ حولي شاغرة،
والرحلاتُ التي حلمتُ بها
ما زالت تنتظرُ رفيقًا لم يأتِ...

أكتبُ في رأسي دعواتٍ
ثمّ أنسى أن أرسلها،
كأنني خائفةٌ من أن يقرأها أحد
ويعرف كم أنا... وحدي.

أصنعُ شالاتٍ من صوفِ الذكرى،
لأشخاصٍ أعرفُ جيدًا... أنهم رحلوا.
وأضعُ فناجينَ البابونج
لأصدقاءٍ نسوا عنوان البيت.

في الليل، وحدي،
أضحكُ على مشاهد "الزعيم"،
أبكي على فراقٍ حدثَ منذ أعوام،
وأرقصُ على نغماتِ الحنين...

أهتمُّ بقصاصةِ وردٍ
كأنها العالمُ كلّه،
أُسبّحُ لها، أُقدّسها،
وأخبّئها في علبةٍ خشبيّةٍ
إلى جانبِ صورٍ
لراحلين جمّدتهم الكاميرا
في لحظةٍ لم تعُد.

أنا وحدي، نعم...

لكنني أسمعني بوضوح،

أحضنُ غيابي وأربّت على رأسي،

وفي آخر الممرّ،

شمعةٌ صغيرة... لا تنطفئ.

مسامير

في جدار القلب...
مسمارٌ لكلّ ذكرى،
واحدٌ للخذلان،
وآخرُ للوداع الأخير،
وهناك مسمارٌ لا أعرف كيف دُقّ،
لكنّه يؤلمني كأنّه صوتُك...

طرقنا الحياة بالمطارق،
ثبّتْنا أحلامًا على خشبٍ مكسور،
علّقنا الصور،
ونسينا أنّ الجدار لا ينسى الثقب.

نسجنا خيوطًا لقصائد لم نُنفض عنها غبار الوداع،
قلنا أشياءً عن الحبّ الذي اقتات على فتات الحمام،

جهّزنا رحلاتٍ لطرقات لم تعبّدها الشمس...

في الأسطوانات المكنّزة أفلامٌ،
ماتت لياليها قبل أن نرى أثر الدهشة على وجهينا،
ودموعٌ زرقاء كانت تبصر احتراق الفراشة.

ووشمٌ على مسافة كتفك الأيسر،
يرضع من ثدي الشجرة،
وخاتمٌ معلّق على غصن الكلام المبحوح...

مساميرُ ذكرانا
تدمي قدمَ اللحظة،
وتُجَوّعُ فاهَ الشعر...

لكنّ القلب، رغم كلّ الصدأ،
ما زال ينبض،
كخشبٍ قديمٍ يشتهي لوحةً جديدة.

رغبة عارمة وسط الخوف

أرغبُ فيك كما الجمرُ يشتاقُ المطر،
لكنّني أخافُ ذوبانَ اللهفة...
أكمّمُ لهفتي بورقِ الرّهبة،
وأخيطُ على فمي صمتًا حريريًّا لا يفضحُ شيئًا.

في صدري عاصفة،
وفي عيوني صقيعُ نجاة،
أريدك...
لكنّ قدميَّ مربوطةٌ بخيطانِ الخوف،
والرغبة تصرخُ في الزاويةِ، لا يلمحها الضوء.

رغبةٌ تشهقُ في صدري،
تهمسُ لوحشِ أفكاري،
وتنسابُ في حقولِ وريدي...

خفتُ من لمسِ الضوءِ على جبينِ النّهار،
عضضتُ أصابعي،
ومضيتُ أتلاشى مع الظلّ...

سكنتُ أعالي التوتِ،
وقضمتُ أظافرَ الورقِ الجاف،
شهقةُ الأغصانِ علقت على طرفِ شفتي،
ودمٌ أزرقُ يسري تحت نهدَيّ الخوف...

آهٍ على موتٍ كهذا

فقيرٌ هذا الصباح،
ثقيلٌ كجرحٍ في قلبِ عذراء،
صاخبٌ كصوتِ أرملةٍ تنادي ظلَّ الغياب،
عتيقُ الملامحِ، كمدينةٍ إسبانيةٍ نسيتِ الحكايات.
لا ريحَ تمرُّ،
ولا خطى لقادمين.
أُصغي إلى اللاشيء،
وأهذي كنائمةٍ لم تستفق بعد من حُلمٍ طويل.

أنادي العندليبَ الأسود،
أدعوه أن يغني...
لكن لا موسيقى هنا،
لا وترَ يعزف،
ولا مدٌّ ينتظرني.

كلُّ شيء مضى قبلي،
حتى الصدى.

أهدهدُ للوجعِ لعلّه ينام،
لكنه...
صباحٌ يتجدَّدُ رغم الخيبة.

ذاك الغريبُ يذرعِ الأرضَ عطشًا،
الأنهارُ جفَّت،
والغيثُ ما زال يضاجعُ الغيمَ بلا وعد.
لن يهطل اليوم!
ربّما غدًا، أيها الغريب،
ربّما سيولدُ المطرُ قريبًا.

سأتجوَّل في الحديقةِ لبضعِ نبضات،
أبحثُ عن ترابٍ خصبٍ أرتّب عليه أنفاسي،
وأغنّي للموتِ كي يهدأ قليلاً.

أشتهيه خفيفًا،
لا يُشبه هذا الصباحَ المُثقلَ بالشجن،
أشتهيه على فراشِ خزامى،
فرحًا،
مبهجًا،
بصحبةِ كمانٍ وبيانو،
بموسيقى الفالز وضوء القمر،
عذبًا كعيني أمي،
رقيقًا كشمس الفجر.

فيه حلوى وسكّر،
وقططٌ تموءُ جوعًا،
وعشبٌ طريٌّ تمشي عليه الروحُ مبتسمةً.

آهٍ على موتٍ كهذا،
يمنحني راحةً أبديّة،
وقبلةً سرمديّة من شفاهِ الملائكة،

ينقذني من خوفي،
ويمنحني نارَ العشقِ لأحترق بها.

آهٍ على موتٍ كهذا،
يمدّ ذراعيه،
يحتويني،
يضعني على سكّةِ القطار،
لأخوض الحياة الأخرى،
أشربُ رحيقها،
وألبسُ نعيمها،
يضع على رأسي قبعةً من تفاحِ السلام،
ويُطوّقني بسوارٍ من عناقيدَ وألوان...

كيف تُقال؟

كيف تُقالُ "أحبك"
لامرأةٍ ما زالت تلعق ظلّه عن عنقها؟
تغتسلُ بذاكرته...
وتتركُ لك الفتاتَ في كأسٍ من وهمٍ.

كيف تُقسمُ على الانتظار،
وقلبُها يزرعُ نوافذَ للغياب،
ويكتبُ للمساء دعواتٍ لمجيئه؟
هي لا تنظر خلفها...
بل إلى مرآةٍ ما زالت تُعيد صوته.

كلّ شيءٍ فيها يحنُّ لسواه،
الموسيقى، الخُطا، الضوءُ العابر...
وكلّ شيءٍ فيك

يريد أن يطفئ هذا الحنين.

تقول لها:
"منكِ أبدأ، وفيكِ ينتهي الزمان"،
لكنها تُجيدُ الإقامةَ خارج الأزمنة.

تدعوها لرقصة،
فتخلعُ أصابعك من يدها،
وتُسلمها للفراغ.
تنتظر عطرها على ثوبٍ مهجور،
فتنفضه عن ذاكرةٍ لا تعرفك.

شفاهها تُغريك،
لكنها لا تُقبّل الحاضر،
تُرضعُ الحنين...
وترضعه.

كلّ مساءٍ،
تقضمُ صورةً قديمةً له،
وتُغني: "كان هُنا".

وأنت،
تتعثّرُ بمقاطع صمتها،
تبحثُ عنك في ظلالٍ لا تحمل ملامحك.

تحاصرها تفاصيله،
ثوبه الملقى،
ساعته التي لا تعمل،
وأنفاسه...
المعلّقة على أطراف الوسادة.

وأنتَ،
شيءٌ بينهما
لم يُخلق بعد.

تلعنُ وقعَ كعبها
الذي لا يتجه إليك،
وتُقسمُ للنوافذ
أنك ستنساها...
ثم لا تفعل.

هي قصيدةٌ مبتورةُ اليدين،
لكنّ القصائد لا تحتاجُ ذراعين لتخطفنا.
تشبهُ انكسارَ الضوء على ماءٍ راكد،
لا يُلمس...
ولا يُنسى.

كلّ ما فيها
يرفضك بلطافة،
وأنت تصرّ على التورّط بجمالها.

هي امرأةٌ تكتبُك بلا حبر،
وتُبعثرُك كأنّك خطأ مطبعيّ
في روايةٍ عن الفقد.

أحلام مستعارة

كبرنا...
ونحن نمشّط شعر أحلامهم العاجية،
نحملُ أوهامهم على أكتافٍ طرية،
ونكتمُ الصراخ تحت وسائد قطنية.

زرعوا في دفاترنا قمحًا،
قالوا سيصير خبزًا إن حفظنا جدول الضرب،
لكن الحصاد جاء خيبات،
وأرقامًا لا تطعم جوع القلب.

قالوا: "ارفع رأسك، لا تكن مثلنا"،
ثم قاسوا قامتنا على مقاس انكسارهم.
أهدونا خوفهم مغلفًا بالحكمة،

وقيّدونا بوصايا تشبه السجون.

شقوا لنا طريق النجاح
بأنينهم،
بغصّاتهم،
بوجوههم التي لم تعرف النوم.

كبرنا...
نقلب خرائطهم، نبحث عن مخرج،
نحاول ألا نخذلهم، فنخذل أنفسنا مرّتين.
كبرنا...
وفي القلب ثقب من نجمة حصدوا ليلها من أنين الخوف.

وكلما نظرنا في المرآة،
رأينا طفلًا يلبس ثوبًا مرقّعًا بالحزن،
يحاول أن يضحك كي لا يبكيهم،
ويخسر صوته شيئًا فشيئًا.

"فمُ الماء"

في فمي
تسبحُ سمكةُ الصمت،
ذهبيّة...
لكنّها لا تلمع، بل ترتعش.

كلّما هممتُ بالكلام
تدور في حلقةٍ مائيّة،
تُحدّق بي بعينين واسعتين
كأنّها تعرف
أنّ الحرف مالح،
والمخارج ضيّقة.

شفاهي وعاء،
مشدودٌ بين اللذّة والخنق،

يعلوها رغوةُ حيرة،
وترتّب نفسها كقبلة لم تكتمل.

يا صغيرة،
كنتُ أظنّك فكرةً،
فإذا بكِ حياة
تطلبُ هواءً
ولا أجرؤ على الزفير.

أنا وأنتِ
نعلَقُ في حدودِ الفم،
أنتِ تسبحين،
وأنا أغرقُ فيكِ.

جرائم الأمومة

كان قلبي يتقشّر كجدارٍ قديم،
حمل على أكتافه سوط الكلمات
طوال سنين عجاف من الخيبة...
خُلِقتُ من صرخةٍ خافتة
في رحمٍ يتقيأ الخوف،
وامرأةٍ تصلّي كي لا أولد.

كانت تقرص أحلامي،
ترميني في دفترٍ أصفر
حفظت داخله أمنيات الحوريات
في محرقة الشعر
رمت قصائد الغفران.

قصّت شعر المواعيد المؤجلة مع الحياة

وقلّمت أظافر الكلمات،
هي التي كانت حلوى قطن،
صارت شفرات من قسوة!

كانت تهديني البكاء قبل النوم،
وتلبسني خوفها على هيئة قبلة.
تشدو لي أغاني الأمومة،
لكنها تغتالني بصمتٍ في النهار،
وتغفو مطمئنة في الليل،
وكأنني ما كنت... ما وجدت... ما بكيت.

رمت تذاكر الطيران نحو الغيم،
أخفت شموس الحريّة،
ووشوشت للجدران أسرار الفقد.
قالت: "كبرتِ"،
لكنها نسيت أن الطفلة ما زالت تبكي في الزاوية،
تحضن دميتها المبتورة.

لم تسأل عن الغفران،
فكيف أعطيه؟
وأنا ما زلت أبحث عني
في مرآة لم أحبّها يومًا.

سارقي اللحظات

يسرقون الفرح من فمه قبل أن يبتسم،
يخفونه في جيوبهم كحلوى خائفة من الذوبان...
كل لحظة حلوة يختنقون بها،
لأنهم يعرفون طعم الفقد أكثر من طعم الدهشة.

يتجوّلون بين أحواض السّمك
ويهبون لها ألوان الفكرة
ويطبعون ذاكرتها في يومهم.

يشقّون الطّرقات بحثًا عن دولاب الزمن،
يتسابقون والريح
ليعلوا عن أرض النفاق.

ينبتون كعشبة لا تعرف اسمها،

الأمّ الأولى وحدها...

يلعقون الويسكي
عن النهود السمراء،
ويرتجفون من لحظة
تكاد تلد لهم طفلًا
يحمل ندبة الفكرة.

يضحكون قليلًا...
كمن يدّخر الضحك ليوم القيامة.

نوم المدن

تنام المدن،
وحكايا العذارى لا تنام،
تنتظر فحولة الخيل
ومجون السكارى...

تغفو الوسائد على دمعٍ
من ملح ولهفة،
تعربش على قطنها
وشوشات رجال
لم يعرفوا عنوان الصدق.

في أروقة الماء،
تلمح نشوة العمر
وشهقة خوفٍ وُلدت

من رحم الانتظار.

تنام المدن،
لكن أمهات البنادق
لا تكلّ عن الإلحاح،
ينتظرن لحظة حق
تشبه زفرة انتصار.

وأبناء يحملون لعبة الطفولة،
يمدّون ألسنة اللهب
لتطال شوقًا لا يخمد،
وآخر حريقٍ في الطريق.

والأرصفة تحفظ خطى الغائبين،
تردد أسماءهم في صمت،
كأن لكل حجر ذاكرة،
ولكل ذاكرة نحيب لا يُقال...

تنام المدن،

لكن أحلامها لا تنام،

ترى غرباء يسرقون ظلّهم،

وعشاقًا يتبادلون أسماءً مزيفة،

وترى الله يمشي حافيًا على حدود الغياب.

اعترافات حذاء

وقعتُ على حافة جثثٍ بلا أسماء،
شممتُ رائحة الشواء...
لحمٌ طريّ
يبكي فوق الجمر
على أرواحِ أطفالٍ
تداعبُ لحيةَ الربّ.

دستُ، بلا عمدٍ،
زهرةً كانت تئنّ في مخاضِ الولادة،
وعلى ترابٍ مجبولٍ بالدماء
صلّيتُ للراحلين،
وكفرتُ فوق قبورٍ مفتوحة
لرجالٍ ينتظرون
حياةً أقلّ شقاءً،

أقلّ قسوةً،

أقلّ رتابة...

حياةً ترفع هاماتهم،

وتجبلُ صوتهم بالنور.

أنا حذاء،

أركضُ خلف سياراتٍ

تسابقُ الموت،

علّه يتثاءب،

يتجمّد،

يتلعثم في كفّ عزرائيل.

عبثًا أعيش

أملك فنجان قهوة
وكأنني أحتل العالم به،
وقصائد نضجت على نار التنور،
وقصة حب...
نسيتُ بطلها.

جمالٌ
يكاد يكون مشوّهًا أحيانًا،
وغرفة
تحمل وزني الزائد من الحنين،
القليل من الكيلوغرامات
لا تفشل كُلى الحب
بقدر ما يفشل خرطوم الناي.

في رأسي،
نامت حروب
اندلعت من مواطن الكراهية،
وعلى زنبقة يدي
نمت جوارحي.

أيقنتُ أن الغباء... فكرة،
نحملها كلما أردنا موتها،
والفكرة لا تموت.

ألأنني ابنة الحقول،
لا أخاف فزاعة خيالك؟
أم لأني برّية
تحمل هموم الخلود؟

أفتّش في هاتفي
عن صوتٍ للذين لا يملكون ترف الصوت.

عبثًا أبحث،
عبثًا أعيش.

قبل كتابة هذه القصيدة

أخذتُ نفسًا من زهرة التوليب،
ورحتُ أَصبُّ مشاعري فوق فوضى الورق.

شرّحتُ حياتي...
تلك التي لم أحياها،
بل أخرى كانت هنا،
تكنّس الملل عن أبواب الغرف المُشرّعة،
تعلّق على نعيق البوم،
وتبكي.

تجرحِ غصن الخوف،
وتُدمي ثقوبًا
ممتلئة بالعصيان...

تقتل وقتًا لا يأتيها
بعلب الشوكولا،
وتجبل طين الفخار
ببصقة من النفور.

تدّعي المعرفة،
وهي لا تفقه معنى الصمت،
ثرثارةٌ كعصفورةٍ
بريشٍ برتقالي،
من خدِّ الشمس سرقَ لونه.

كتبتُ هذه القصيدة،
لففتُها
وغمستُها في كوب الشاي...

شرحت حياتي

إلى أبي

ظننتني أقوى منك،
أعيرُ الحياة انتباهي الكامل،
وأنا أجمع لها أغانٍ،
أدلّلها بها كمراهقٍ
ينتظر حبيبته
تحت نوافذ الحب.

ظننتني أعيش كما كنتَ تحب أن أكون،
وأنا التي كنت أقول:
"أنا ابنة الشمس،
وابنتك."

لا شيء تغيّر هنا من بعدك...
ما زالت القطط تموء،

والجنائز تسير إلى مثواها الأخير،

والحروب قائمة،

والنيران تغلي أقدارنا،

والجمال يتجدّد—

رأيته البارحة

على خدِّ جارتي.

والليل يشقّ طريقه لأحلامنا،

والشمس تشرق

من ساعتك المتروكة.

إلا أنا...

والوقت على ساعتك:

تجمّدنا مكاننا،

منذ رحيلك.

غدير

على سريركِ الأبيض
رأيتُ شريط طفولةٍ
صنعناه معًا،
وفي راحة يدكِ
وُلدت نجومٌ
تشهق بين أصابعكِ.

في غرفةٍ
تكاد تتّسع لنفسكِ الهاطل،
راحت أجنحةُ الملائكة
تبعث لكِ
تحايا الرب،
وصلواتِ السماء.

لم أودّعكِ...
كنتِ أسرع من دموعي،
وأبطأ من أنفاسي
حين اختنقت.

بشعركِ الفاحم
شهدنا على ولادة القيامة،
بعطركِ الصارخ
أغوينا طاووس الحي،
بيديكِ العطوفتين
رأينا عجائب الملكوت.

صوتكِ باقٍ في زوايا الذاكرة،
على عتبة البيت،
أصابعُ قدميكِ المرتجفة
في خلخالكِ
جوهرُ الحياة،

وعلى ظهر يدكِ
وشمُ الجديلة.

ارتجافُكِ الأخير،
ونظرتُكِ التي
تسرق الهواء—
هي بقايا رحيلكِ
الأخير.

ما زلتِ تبلّلين روحي
كلما عطشتُ للحب.

أغمس أصابعي بالحبر الأزرق

أغمسُ أصابعي بالحبر الأزرق
لأطفئَ حرائق القلب.

على أظافر الوحدة،
نمى جناحٌ ذهبي
يطيرُ فوق سماء قلبي،
يبتهلُ أمامَ صورةِ النبي،
ويغدقُ على كوخِ الصحراء
ماءً مباركًا.

أغمسُ أصابعي بالحبر الأزرق
وأرمي بالشُهُبِ أرضًا.
أتركُ أمنياتِ الذينَ مضَوا
في جيبِ الخوف،
وأمضي.

انحناءة الستارة

على مسرحِ الحياة،
صفّق الجمهور الغافي
لحضوري الذي كان أشبه بالعدم.

انحنت الستارة الحمراء،
وخلفها بكيتُ
بحرقةِ أمٍّ فقدت جنينها.

انحناؤها
كان هرباً من عيون الزمن العميق،
رقصتُ في الصمت
كما لو كنتُ أتمايل
على نغماتٍ خفيّة.

انحنت كغيمةٍ
تسقط فوق الأرض
لكنها لا تمسّها.

سحبتُ الليل ورائي،
وشيئاً من فستاني.

الستارة تعرف
أن الخيال بلا حدود،
وأن انحناءها
إعلان من روحي:
أن الضوء لا يغيب،
بل يصير أفقاً آخر...

نحن الذين صمدوا

لم تكن بيروت وحدها تحت النار،
بل كان الوطن كلّه يتوضأ بالدم ويصلّي ليبقى.
كان الجنوب، والشرق، والبقاع، والشمال،
كلّ بيتٍ احتمى بآية،
وكلّ طفلٍ خبّأ صلاته في جيب سرواله.

صفاراتُ الإنذار صارت نغمة النوم،
وصوتُ الرصاص أهدأ من أغاني الطفولة.
المدرسةُ تحوّلت إلى ملجأ،
والدفاترُ امتلأت بخرائط الخوف بدل الأبجدية.

كانت أمي تقرأ كتاب الله،
لا لتطمئن، بل لتبقى واقفة.
نجتمع حول صوتها المرتجف،

كأنّ في كل حرفٍ نُنقذ أنفسنا من الانهيار.

الوقتُ كان يمشي على عكّاز،
والشمسُ ترتجف من مشهد البيوت المهجورة.
نهارٌ أثقل من حجارة الصمت،
قسّمه الرعبُ إلى قسمين: من بقي، ومن ودّع.

لم نملك إلا الصبر والصلاة،
والدمع الذي كان يسافر من هاتف إلى آخر.
اجتمعنا ليلًا لنصلّي،
لا للبندقية... بل للحقّ الذي يشبهها.

نجدل حكايا المقاومين،
ونبكي أمهاتهم بصمت،
نزغرد لهم، نرميهم بالورد،
وفي صدورنا جرحٌ غائر لا يندمل.

علت أصواتُ المساجد والكنائس،
الله شاهدًا على الدم الذي سُفك،
على البيوت التي هُدمت،
وعلى قلوبنا التي لم تنكسر رغم كلّ شيء.

نحن الذين صمدوا،
الذين كتبوا أسماءهم على جدران الصبر،
ومضوا خلف الحق،
رافعين الدعاء سلاحًا،
ورافضين أن ينتهي هذا الوطن دونهم.

"طقوس الفقد"

أقفُ على حافة الهاوية، كما كنت تفعل.
أدخّن سجائرك، وأنفثها كما كانت تفعل شفاهك.
أحرقها كما كنت تحرق الوقت، والخيبات.
أفرك أصابعي، وأطقطقها كما كنت تفعل.
أصرخ في وجه الحياة، وأشتم اللعنات نفسها.
أشرب النبيذ من كأسك الشفّاف،
وأتوه في متاهاتك العتيقة.
أدندن ألحانك، وأفتعل الكذبات ذاتها.
أمشي نحو قبرك، ودموعك تنساب من عينيّ.
أنظر في المرآة... فأراك تسرّح شعرك الليلي.
أشرح كلماتك الملغومة بصوتي،
وأصفّق لنا بانبهارٍ مخيف.
كنّا جميلين يا حبيبي...
اللعنة عليّ، وعليك.

حين تبكي النّخلة

سقطت الأرض من تحت قدميّ،
واختفت وجوهٌ أحببتها،
وبقي الصّمتُ مطبقًا على جفن الكلام.

في لحظةٍ ضاعت فيها الأحلام،
سألتني:
هل أصمد أمام الريح؟
أم أستسلم للموج الذي يقتلع كل شيء...

من قلب الأرض المشتعلة،
قد تنبع، أنت – الذي كنت – جزءًا من الماضي،
هل تغادر؟ أم تصمد؟

سأصمد،
لكنني لا أعدك بشيء...
الصخر أيضًا ينكسر تحت المطر،
والنخلة تبكي،
حين تهجرها الطيور.

سأصمد،
ربما لأن لا مكان أغادر إليه،
أو لأن في عينيك
لمعة تشبه البلاد حين تبتسم من خلف الركام.

هل يكفي هذا؟
أن أضع رأسي على جدار الذاكرة،
وأقول:
"أنا هنا، رغم الذي ذهب"؟
هل يكفي أن أكتب،
حتى لا أنكسر بصمت؟

أنا لست ظلًّا

طوت ملامحها عن وجه الماء،
مسحت مرآة الخوف عن جبينها،
وأطلقت مزامير الماعز،
تغني للبرية نشيد التحرر.

على شفاه القنديل الأخضر،
نفخت من زيت قلبها،
وأشعلت حنين الحبّ،
كأنّها تشعل قلب الليل بصباح جديد.

رقصت على ظهر الذكرى،
ودغدغت شرايين الصوت المخنوق،
خدّرت حوت الفراق،
وسكّنت العاصفة في فم البحر.

فتحت شباك رقبتها لفراشات الحلم،
قهقهت لجنون ألوانهن،
شهية كقبلة الفجر،
وساكنة كندى الريحان في صدر الأرض.

ومن رمادها صنعت ريشة،
كتبت بها على جدار الليل:
"أنا لست ظلًّا لما فات،
أنا الضوء حين ينسى الشمس موطنه."

خبأت الحكاية في تجاعيد كفّها،
وغفت كأنها تعرف أن الغد لها،
وأن الحلم، مهما بكى،
سيضحك حين ترتّب له قلبها فراشًا من غيم.

رشفة دلال

يا رشفةَ دلالٍ عذبة،
فيكِ انطوت شهيّةُ الليلِ وحنيني.
كأنّكِ حلمُ الفقراءِ والجائعين،
متّزنٌ كقصيدة،
واهبُ الصوتِ لِمن لا صوتَ له،
رقيقٌ كنسمةٍ مرّت على بابِ القلب.

وجهُكَ النورانيُّ محرابُ عشقي،
وصوتُكَ الخاملُ وجهةُ قلبي،
في عينيكَ تنامُ القصص،
أساطيرُكَ الخرافيّةُ ترصُّ وجعي،
أهازيجُكَ المضحكةُ بقيتْ عالقةً في لقاءاتِنا،

أُحاولُ أن أَرشَّ بعضَ النسيانِ على طيفِك،

أن أَكسرَ صوتَ الصمتِ من بعدِك؛
وأُخبّئ رمادَ قلبي في دَفترِك،
عَبثًا أُحاولُ قتلَك في ذاكرتي المُعطّبة.

فإن بقيتَ في القلبِ وطنًا،
فلن أُهاجر،
لكنّي...
سأتعلّمُ العيشَ بلا خارطة.

على سلكٍ كهربائيّ

أبحثُ عن صوتٍ قديم
في قاعِ فنجانٍ تركتُه على عتبةِ المساء،
عن ضحكةٍ سقطتْ من جيبِ الطفولة،
ولم تجدها أمّي،
رغمَ كلّ محاولاتها في التنظيفِ العاطفي...

هل كُنّا نعيش؟
أم كنّا نُرتّبُ موتَنا بلطفٍ
في دفاترِ اليوميّات؟

الريحُ ما عادتْ تُسابقني،
تعبَتْ، مثلي،
من هذا اللهاثِ نحو لا أحد.

أمدّ يدي نحوَ الوقت،
فيعودُ لي بأصابعَ مقطوعة...
كلّ ساعةٍ تلدُ أُخرى،
لكنّي ما عُدتُ أُولَدُ معهنّ.

على سلكٍ كهربائيٍّ شائك،
كأنّني أسير...
أقلّبُ السطورَ الأخيرةَ في ذاكرتي،
عبثًا أُحاول...

لا جدوى من حنينٍ فَرْفَطَهُ الأسى،
لا جدوى من دموعٍ لا أذكرُ سببها،
لا جدوى من لقاءٍ باهِتٍ بلا عنوان...

أيٌّ وعدٍ هذا
الذي سرقتْهُ منّي الأزمنة؟

أيُّ امرأةٍ أنا؟

بلا عنوان،

أو قصيدة،

أو حتى وجهة...

اسمٌ يُمحوهُ التاريخُ بنفخةٍ واحدة...

فوانيسٌ مُطفأة

سجائر، سجائر
وفنجان قهوة طبعت عليه أحمر الشفاه
وكتاب في يدي لا أعرف كيف أطلق سراحه.
أحداث سريعة،
جرائم قتل،
قصة حب،
خيانة مشروعة،
موت، ثم موت، ثم موت.
كانت الموسيقى تطرب الصمت القاتل
وتدغدغ أنامل الوقت المتقاعس،
عله يركض،
يفهم،
يبتهج.
قلبي يحذرني من هذه الليلة،

يخفق بسرعة،
ثم يغفو قليلا.
عقلي غارق في اللاشيء،
في الفراغ،
في الظلام.
أراقب هرتي لا تنفك تطارد ذيلها وتلتف حوله،
فتسقطني في موجة ضحك عالٍ،
لكن زعيق البومة داخلي... يسكتني.
تعبرني أرواح لا أعرف هويتها الحقيقية،
وفوانيس مطفئة تمامًا كهذا العالم،
وأقدام تغور في جسدي لبرهة،
ثم تطير على أجنحة الليل بلا عودة.
آثارها حفرت هنا،
قصصها العتيقة طرقت أبواب قلبي.
من سيفتح لكل هذا الظلام؟
من؟
تتنهد عقارب الساعة تنهيدتها الأخيرة لهذه الليلة،

لتعلن عن ابتداء يوم آخر حقير.

لا سبيل للعودة لهذه اللحظة، لكني حتمًا سأعود يومًا ما.

سأعود بعدما أقتل هذه البومة.

الذكريات التي لا تموت

داخل حجرة طلاها الغبار
تعيش ذكراك، عصيّة على الموت.
أقلّب دفتر الزمن لأبحث عن رائحتك،
رائحة التفاح المعسول التي عشعشت على كف يدك،
أبحث عن كنزة صوف، لبستها في يوم ممطر ،
أبحث عن سكينة حادة قطعت بها شرايين الوقت.
على عجلةٍ من أمرك كنت يومها،
كيف استقبلت كرنفال الربيع؟
هل وجدت ما يلهمك بين الخيزران والألوان؟

هنا في زاوية عتقتها السنون
أرى حذاءك الأسود، كم حفظته الطرقات وأنت تمشيها،
علك تجد ضالتك!
يتبخر كل شيء حولي فجأة،

أين مقتنياتك المسجونة في قاع قلبي؟
حفظتك نفسي أكثر مني.

ذكرياتك لا تموت،
لا يوم ولا سنة ولا قرون تمحوك من قلبي وعقلي.
يا ذكرى الروح، كم أنتِ عصية على النسيان!
لكنك هنا، بين سطوري ،
تسكنيني كما تسكن النجوم السماء،
لا أستطيع الهروب من صورك،
أنتِ هناك، حيثما تجولت، في كل زاوية من روحي.

أنتِ الزمان الذي لا يمضي،
وأنا الصمت الذي يبكي بين يديكِ.
كلما كتمت حزني، يصرخ في داخلي اسمك،
ويعود الزمن إليّ ليذكرني بك.

أقرأني من جديد

أقرأني من جديد...
أجد نورًا كنتُ أظنه خافتًا، لكنه يشعُّ أكثر مما تخيلتُ.

داخل البالونات الملوّنة
أمنيات عاشت لسنوات طويلة
في زوايا القلب، لا تُقهر ولا تمحى.

على أطراف الألسن، أقاويل مؤجلة
تعيش في انتظار اللحظة المناسبة،
داخل الصناديق السوداء
موشحات أندلسية معطرة
بروائح النساء المعذبات.

نورٌ آخر يشرق من بين الغيوم
رغم عتمة الأيام، يولد من جديد.
حياة مستمرّة رغم الآلام والعذابات
يا لقسوة الوقت...

مشاويرُ الليل تنتظر من يذهب بها
إلى النوارس وفراخ البط...
كذلك البحر ينتظر أناسا يعرف أنهم لن يأتوا...

نور جديد يولد
في زمن الحروب والصراعات الطويلة.
هل من أمل على هذه الأرض؟!

بلا عنوان

أبحثُ عن صوتٍ قديم
في قاع فنجانٍ تركتُه على عتبة المساء،
عن ضحكةٍ سقطت من جيب الطفولة
ولم تجدها أمي، رغم كل محاولاتها في التنظيف العاطفي...

هل كنا نعيش،
أم كنّا نرتّب موتنا بلطفٍ في دفاتر اليوميّات؟

الريحُ ما عادت تسابقني،
تعبتْ، مثلي،
من هذا اللهاث نحو لا أحد.

أمدّ يدي نحو الوقت،
فيعود لي بأصابع مقطوعة...
كلّ ساعةٍ تلد أخرى،
لكنّي ما عدتُ أولد معهنّ.

على سلكٍ كهربائيٍّ شائك،
وكأنني أسير..
أقلّب السّطور الأخيرة في ذاكرتي
عبثًا أحاول...

لا جدوى من حنين فرفطه الأسى،
لا جدوى من دموع لا أذكر سببها،
لا جدوى من لقاء باهت بلا عنوان...

على سلك كهربائي
كأنني أسير...
أي وعد هذا الذي سرقته مني الأزمنة..

أي امرأة أنا!

بلا عنوان أو قصيدة، أو حتى وجهة...

اسم يمحوه التاريخ بنفخة واحدة ..

كلُّ امرأة تسير وحدها

هذا الليل لا يسألني من أنا،
ولا يفتح لي دروبه...
كلما خطوت إليه،
رأيت ظلي يتقدّم عني
كأنني أتأخر عن نفسي.

أيها الموتُ المتربّص خلف القصائد،
أمهلني لأكتب جرحًا واحدًا
لا يشبهك.

عقارب الزّمن ترجع بي إلى الوراء،
إلى حقول الزعتر وشجر الزيتون،
إلى لوحات مرسومة على عنق السّماء.

أيها الليل المتربّص!
دعْ نجومك تدغدغ الذاكرة الخامدة،
أترك عباءة التّاريخ، واحلم ب عشتار...
لا ترسم وجوهًا غائبة، هلّل بالحاضرين...

أتسابقُ أنا والريح ،من يصل للوداع؟
أتجمّل بقصائد درويشية محمولة من أزمان الحرب..
أفتّشُ في حقائب المسافرين
أينني أنا من كل هذا؟؟

***

أينني أنا من كلّ هذا؟
من الوجوه التي تمرّ بي ولا تلمسني،
من الأحلام التي تلبسني في الليل
وتتعرّى عند الفجر.

كنتُ أظنّني واحدة،
لكنّي صرتُ ألف امرأةٍ في جسدٍ واحد،

كلّ واحدة تحمل حقيبة مختلفة،
وتسير في اتجاهٍ لا يشبه الآخر.

أنا ابنة الغيم،
وحفيدة المنفى،
وأرملة القصيدة التي لم تكتمل.

هل أنا ظلٌّ فكرةٍ لم تولد؟
أم أنا سؤالٌ علّقوه على حبال الغسيل
ونسوه هناك،
حين بدأت الحرب الأولى؟!

على حافة الليل

على حافة الليل،
تسافر الكلمات كطيف بعيد،
فيها حنين لا ينتهي،
وفيها صمت ينتظر أن يُقال.

على حافة الليل،
تظهر وحشية السّاحرات،
يرقصن على أنّات الثكلى،
ويأكلن من فاكهة الشهوة.

يتجمّد السّطرُ الأوّل من الحب،
في أرواح تبحث عن دفء القلب،
في مهبّ الريح ترحل المشاعر.

أحدى الساحرات،
تلوّح بأصابعها في الهواء،
وتجذب النجمات إلى عينيها،
تروي قصصا عن الحروب القديمة،
وفي كل كلمة، ينهار جزء من الزمان.

أما الأخرى،
تغني بصوتٍ يلتهم السكون،
تتراقص خيوط أساورها،
حيث تمزج بين الآلام والآمال
وترسم على وجهها خيوطًا من الزيف.

وفي الزمان البعيد،
ظهرت شخصية ثالثة،
تتسلل بين ضباب الليل،
بحثًا عن من يمد يده
لإسكات نبض قلبها المتسارع
وتتساءل إن كانت قد فقدت طريق العودة.

الحريّةُ بطعمِ الفقد

في زاويةٍ من روحي
يجلسُ ظلّي على حافةِ هاوية...
لا يسقط، لا يطير،
فقط... ينتظر.

تأتيه الأصوات كأنّها موج البحر،
مرّة: "اصبر"،
مرّة: "استسلم"،
ومرّاتٍ كثيرة... صمتٌ،
يثقل القلب أكثر من ألف صرخة.

لكنه هناك،
يخبّئ شمعةً صغيرة،
لا أحد يراها،
لكنها تنبض،

كأنّها آخر نَفَس للحياة.

أمسك حبلًا قاسيًا
لأشنق به الأعوام التي تراكمت فوق صدري،
أمام البحر، ومن أعلى صخرة أنوي الرمي بنفسي لأطهّر
نفسي من الخطايا،
أمسك بمشرط وأقربه من شرايين الوقت،
أيّ فكرة تنتصر أولا؟!
تعالوا وصوّتوا معي للموت الأبهى والأخف،
شجعوا جرأتي وقولوا أنني لن أشعر سوى بالحرية،
ادفعوا بي للأمام، لا تعترضوا طريق الحرية،
جهزوا فستانًا أبيضًا، وحلوى اليقطين،
لا تدعوني وحدي.

نهايتي جميلة، موتي شهي،
سكرة الموت
خاتمة الأحزان.

الكلمات

الكلمات التي تركتها وراءك،
كانت ترقص على قدمٍ واحدة،
تتعثر... ثم تعود لتقفز إلى صدرك كأنك وطنها الوحيد.

أصابعي،
التي كانت تقطف الغيم مع كل صباح،
نثرها الحنين كوردةٍ هشّة عصفت بها ريح الأسى.

ظهري،
الذي رسمتَ عليه نجوم الصيف،
انحنى من ثقل الانتظار الطويل.

صوتي،
الذي كان يولد من نغم،

أصابه الصمت،
لم أعد أسمعه، حتى في عمق جوفي.

في طريقي إليك،
ينمو لي ألف جناح،
أسابق الريح،
أمشي فوق الغيم،
أمد لساني للسّماء كلما قبّلت جبينها،
وأركل القصيدة العاقر،
لأنها لم تُنجب لي لغة أشرحك بها.

كل مساء،
أُسمع بوتشيني للندوب المرسومة على قلبي،
كأنني أغاظ بها الحزن،
وأزرع مكان أصابعي اللافندر،
أشمها كلّما اشتقتُ إليك.

أنتظر خيبتي القادمة،
أدلّلها بنبيذ أحمر،
وأنا أعوي...

الليل،
الذي ظننّا أنه دفن وجعه في مجرّة بعيدة،
عاد ليرميه بين ضلوعنا،
في حضن أغنية،
تطفيء القناديل حياءً من دموعنا،
كأنها تخجل أن ترى وجعنا،
أو لعلها، هي الأخرى،
أرادت أن تبكي.

أيها الوقت،
ما أظرفك حين تتظاهر بالنسيان!
لكنك لا تنسى،
تجعلنا نتذكّر حتى ونحن نُقسم أننا نسينا.

كنتُ أكيدُ الأمل على وجعي،
لكنك رميتني مرّة أخرى في غابة الألم.

كيف أنقذ نفسي من صناديق الذاكرة؟
كلّما رقصتُ على رمادها،
أراها تنهض لترقص على كتفيّ.

انتظارك،
ليس انتظارًا،
هو موتٌ يتقن طقوس الحياة.

روحان في وترٍ واحد

روحانِ في وترٍ واحد،
يعزفان الوجع ذاته،
لكنّ النغمة... لا تشبه سوى نبض لقائهما.

يتناوبان الصمتَ بين كلّ نغمة،
كأنّ الصوتَ خجلٌ من شدّة حضوره...
يهمسان للعالم:
"ها نحن هنا، لا نُرى... لكننا نُحسُّ كالأغنية."

هو لم يقل "أحبّك"،
وهي لم تسأل عن المعنى،
لكنّ عينيه قالتا كلّ الحكاية،
وأناملها كتبت على جلده نشيدًا لا يُمحى...

تعثّرت الأيّام بهما،
ورقصت الساعات على خطاهما،
وكلّ المسافات اختزلها حرف...
في وترٍ واحد، ينبض باسمَين:
هو... وهي.

هما سطران في روايةٍ واحدة،
سطرٌ من نار، وآخر من ثلج،
يجتمعان كلّما عصفت الريح بقوّة،
وكلّما أبرقت السماء،
تلاقيا في كبدها.

واحدٌ يهدّئ رَوع اللحظة،
وآخرُ يضفي عليها نفحةً هائجة.

وترٌ واحد،
يضمّد جرحًا عميقًا أسفل القلب،

يختزل لقاؤهما أسرار الكون...
تشتعل نيرانُ الخرافات،
تسقط راياتُ الكبرياء،
ويغوصان في قبلةٍ سرمديّة.

وترٌ واحد، في سطرَين،
غموضُ العالمِ يجتمع هنا.

حين أحبَّ الجدار

أنا الجدارُ الذي تعلّق به الزمن
كوشمٍ قديم،
شقوقي ليست صدفة،
إنها خريطةُ من مرّوا ولم يلتفتوا،
كلّ خدشٍ فيها يحمل صوتًا نسيه أحدهم في الطريق.

لكن شيئًا ما تغيّر
منذ أن دخلا...
عصفوران بلون الحقول،
ظلالهما الخضراء كسَتني دفئًا
لم يعرفه الإسمنتُ من قبل.

كنت صلبًا،
كنت فخورًا بلوني الدمويّ

كأنني بُنيتُ من معارك قديمة
لكنّهما،
تسلّلا من ثقبٍ مهمل
وغرسَا فيه حُبًّا.

لم يطلبا الإذن،
لم يعبآ بغلظتي
ولا ببرودتي
احتضنا بعضهما في قلبي،
وأنا — الجدار — صرت ألين.

كلّ صباحٍ، أسمع تغريدهما
فأرتّق صدعي بالأمل،
وكلّ مساء،
أنكمشُ حول دفئهما
خشية أن تسحبهما السماء بعيدًا.

صرتُ أخاف عليهما،
صرتُ أعدّ لهما الضوء،
أحجب عنهما الريح،
أستحي من قسوتي القديمة،
وأحلم — نعم، أنا الجدار —
أن أكون بيتًا.

فوضى عطرك في قلبي

أنتَ...
كأنك حدثٌ صغير
مرَّ بي دون أن ينتبه له الوقت،
لكنّه قلَبَ فصولي كلّها.

لم ألمسك،
لكنّي ما زلتُ أرتّبُ الهواء من بعدك،
كأنك مررتَ هنا،
وتركتَ فوضى العطرِ في قلبي.

لم أُقبّلك،
لكنّي ما زلتُ أستشعرُ طعمَ شفاهك
داخلَ فمي.
لم أُعانقك،

لكنّي في بحرِ رائحتِك أغوص...

من أيِّ لوحةٍ هربتْ ملامحُك الشرقيّة؟
يداكَ القمحيّتانِ تُبعثِرانِ قلبي
وتُقامرانِ عليه،
يداكَ الطويلتان، المنحوتتان في شوارعِ الفنّ،
وحدَهما ربّتتا على كتفِ آلامي.

تسبقني إليك أنفاسي،
وتهربُ بك إلى قاعِ البحارِ والمحيطات...

تجدلُ أفكاري عنك أغنياتٍ من نُدفِ الثلج،
وتشقُّ بكَ عوالمَ الأغنياتِ الصاعدة...

ملائكةُ النهارِ تُسبّح باسمِك،
تطلبُ العذرَ من الربّ،
وتقول: "الله، الله..."

لأجلكَ ألفُ صلاةٍ تُقام.

وأنا،
أجمع ظلالَك من أطرافِ أحلامي،
أضمّها إلى صدري
كما تضمّ الأرملةُ أسماءَ الراحلين...

أغار من الضوءِ حين يلامس جبهتَك،
ومن النسيمِ إن مرَّ على كتفِك بخفّة.

أحبّك،
لا لأنك الأجمل،
بل لأنك الوحيد
الذي ارتجفَ قلبي له
دون أن ينطق بكلمة.

طفلي

طفلي الذي لم يُولد
اشتقتُ إليك،
لعينيك العسليّتين
ولحبة كرز على أنفك الصغير.

ولدتكَ في الحلم
قصيدةً طويلةَ اللسان،
تكاغي تعبي،
وقويّ اليدين،
تهدهد أسطر وجعي كلّما تعبَ الحنين.

"ماما، ماما"
أتوهّم صوتك في الأرجاء،
ألهثُ إليك ككلبة وفية،

لكنّك تحفرُ صمتَ الوداع في خاصرتي،
تداعبُ جنّية ماضيك،
وتبكي...
تبكي من شدّة خوفك
من فكرةِ وجودك،
من رحمٍ ضاق ليأتي بك،
ومن حياةٍ اتّسعت ثم أغلقت بابها دونك.

كنتَ ستولد...
لو أن العالم أقلّ وحشة،
لو أن قلبي أكثر خفّة،
لو أنني لم أكن أرتجف
كلّما فكرتُ أن أغدو وطنًا.

طفلي الذي لم يُولد،
أحببتكَ كما لم أُحب أحدًا.
وأجهضتكَ كما لم أُجرح أحدًا.

تمشي بخطى خفيفة فوق قلبي،
تضحك،
تسألني: "لماذا لم أُخلَق؟"

فأصمت...
كأني أنا من مزّق الصفحة الأخيرة
من كتاب قدرك.

طفلي الذي لم يولد،
ما زلت أفرش لك في رأسي
سريرًا من الحلم،
وأحكي عنك
كأنك مررتَ في العمر فعلًا،
وأنك كنت...
قبل أن لا تكون.

الّلغةُ الّتي لا نتقنـها

اللغة التي لا نتقنها
هي تلك التي نتحدث بها ونحن عراة من كل شيء،
إلا من لهفة.

حين أقبلك في لحظةٍ
تجمدت في ثلاجة الذكرى،
أنا لا أقبلك أنت،
بل أنفاسك المكثفة،
ورعشةً خبأها الهواء في رئتيّ.

لا أسبح في تجاعيد جسدك،
بقدر ما أفتش عني فيك،
أفتش عن هواجسي التي سحبتها وراءك
كما يسحب البحر ظلّ الغرقى.

حين أخيط أزرار غيابك،

أثقب يدي بأبر اليقين،

فأعجز عن التفريق بين الدم والحقيقة.

بيننا أشواط نلعبها

في وقتٍ ضائع،

وكرةٍ خرجت من مرمى اللهب،

لكن الحريق مستمر.

داخل جسد الصوت،

أسمعك تنادي: "حبيبي"،

وأنا خلف زجاج الحبّ،

محكمة الإغلاق والتفرّد.

نحن لا نتقن لغة الجسد،

بل لغة التشظي،

نحن لا نلمس،

بل نكتب جروحًا بأصابع مرتعشة.

غاسلو الذّاكرة

نحن الذين نكوي النسيان،
وننشره على حبال الوقت.
نحن الذين نغسل الثياب،
ولا نعرف أصحابها،
لكن نقرأهم
من بقعة نبيذٍ قديمة،
من عطرٍ نافر،
أو دمعةٍ علقت عند الياقة.

نُزيل الأثر،
كما لو كنا نزيل وجعًا خفيًا،
كما لو أن الذكرى
لا تستحق أن تبقى مرئية.

يأتون إلينا،
بقمصانٍ حملت عناقًا خانقًا،
أو تنانير داستها خيبة،
أو سراويل لطّختها الحياة.

ونحن،
نمحو كل شيء بصمت،
نعصر الحنين من القماش،
نكوّم الوجع في سلال،
ونسلمه مغسولًا،
كأن شيئًا لم يكن.

نحن،
الذين نُعيد للملابس بياضها،
ونترك لأصحابها
سواد الحكاية.

تخيّلتُك

تخيّلتُك طفلًا يزحفُ على أطرافه،
يحبو إلى قلبي،
يعطشُ لماء روحي.

تخيّلتك جنّيًّا بقرنين من لهب،
عيناه جمّرهما الشوق،
ويداه مغمّستان بالطين والوحل.

رأيتك صبيًّا يركضُ خلف الخراف،
بعصا من نور،
يغنّي لها أهازيج الجدّات،
كي ننام وننسى خيول الأحلام.

كبرتَ في خيالي شابًّا،

يلدغُ الراء، ويُحلّي السين بسكّر الكلام،
يتعطّر بـ Bleu de Chanel
ويقطعُ رئة الشوق بشوكة وسكّين.

ثمّ صرتَ أربعينيًا يقرأ بودلير،
يستحمّ بندى الغيم،
ويشرب نبيذًا معتّقًا
من حنين النساء الفرنسيات.

خدعتني أحلامي الوردية...
وجدتك فارسًا،
يضلّ الطريق في حقول الشاي والقرنفل.

توطئة قسم الهايكو – "هواء بين الأصابع "

في مكان ما بين صمت الفكرة، وارتجافة المعنى، يمر الهايكو خفيفًا ... كنسمة على خد الذاكرة.

هنا، حيث تقل الكلمات ويكثر الشعور، أكتب.

لا أصف الأشياء كما هي، بل كما ترتج في داخلي – ومضة، ظل، أو شق في الوقت.

تعلمتُ أن اللحظة الواحدة قد تحمل حنينا، فقدا، ضحكة، أو رغبة... في ثلاث أسطر فقط.

هذا الفصل هو الهواء الذي عبر بين أصابعي فلم أمسكه، لكنني كتبته.

غيمة في السماء
تحت ضوء القمر
تتراقص النجوم

نسيم خفيف يتسلل
إلى زهور الربيع
يستقبل الفجر

ورقة شجرة
تسقط بخفة وسط
درب الشاطئ

موج البحر يهمس
بسرٍّ قديم
للصخور الصامتة

صوت الطيور يغني
في صباح هادئ
يشرق الشمس

توت بري
مشهد يغرق ببطء
في عمق الخلود

على الرصيف
ظلُّ الكينا يلامسني
كحضنٍ منسيّ

طرواة الخبز
تروي سكون نوم العجين
والليل فكرة

بتلة الورد تجاهد
والسعي جميل

حقل فزاعات
الأقمشة المهترئة

عصافير جُنّت

مخيّمُ هجرة
أطفالٌ بأحذيةٍ عتيقة
الحربُ جرحٌ

نجمةُ اللّيلِ
ساكنةٌ في عُلوّها
تغفو ببطء

بخطٍّ مستقيمٍ
يقيس فظاعة المشهد
مهندسٌ هناك

ركوة سمينة
تلتهمُ الوقتَ بصمتٍ

والنّساء هناك

فقط أنا وأنت

هناك حيث نندمُ معًا

نبكي بهدوء

كنزته الحمراء

عقربٌ أسودٌ يزحف

تسحبها اللسعة

داخل حوض الغسيل

ضمائرٌ تتلاشى هناك

لونٌ أسودٌ

في دمِ الفتاة

يذوب السكر

أبرٌ باردة

مبتورة الأصابع

امرأة خمسينية تشتعل

سجائر تلامس

سجودٌ طويلٌ

الرّبُ يبكي في صمتٍ

معنا هنا الآن

أمٌّ تهرولُ بسرعة

القذيفة تتأرجح حولنا

مغارة الأطفال

هروبٌ مشروعٌ

طيور أيلول تهاجر

نسمات عذبة

معمول العيد
مخضّبٌ بالدّماء هناك
فرحةٌ حزينة

شتاء متواصل
أفكار عاتية تعصف
ريحٌ مخدوشة

اضطرابات الليل
تتمدد في الزوايا
مناديلٌ شاهدة

طيفُ الأرواح
تداعب شعرها بهدوء
قهوةٌ فوق النار

قصائدٌ مخلوعة
صور مبتكرة تظهر
بتلاثُ وردٍ

ساعات الحائط
لا جدوى من الوقت هنا
التأخر والعدم

نيامٌ نيامٌ هنا
القططُ تعبث من المواء
صمتٌ يعمٌّ المكان

أفعى برتقاليّة
بأساورٍ من ذهب تلمع
جمالٌ معجونٌ

أنغمسُ بالنوم

عبّاد الشمس
طيور تشرين تأكل
قرص الشمس

تفاح صغير الحجم
شجرة واحدة
تأكلها الشمس في الوحدة

العنكبوت يكبر
\تحت الهواء البارد
 يا للراحة

همس الخبز الطري
يتسلل من نوم العجين
إلى فكرة الليل

بتلة ورد
تتحدى الريح بصمت
والسعي ناعم

شمس الصيف
في قلبه قبلة
تحترق ببطء

غابت أمي
ولا يزال المطبخ
دافئًا منها

في العاصفة
أخي يمشي أمامي
ويضحك للريح

ضحكتها
تسقط التفاحة
من يد العاقل

***

٢

ليلة حمراء
عطرها يسبقها
ثم يضل الطريق

***

٣

همسة منها
تُربك القصيدة
وتُغوي الشاعر

***

٤

ثوبها القصير

يسأل النسيم

أن يطيل النظر

***

٥

في عينيها

نبيذ يفيض

ولا يُسْكِر

يد مرتجفة
سجائر ووريد
والصمت طويل

حذاء عسكري
يمشي على الأطفال —
عاد هتلر

أسد الحلم
لا يبحث عن فرائس
بل عن جوعه

خلخال عالٍ
يرتجف على رقبة
ويغتال

أرثي بصمت
دفاتر الشوق
وكحلتي اليابسة

على الجذع
بقي وداعنا
أوضح من الأسماء

هواء يمرّ
من بين أصابعي
ويحبل بالغياب

تفتح الباب
أختي بابتسامتها
وينطفئ التعب

في ظلال الليل
آلهة منسية
تهمس بالأساطير

أسطورة عشق
مكتوبة على الرمل
يمحوها البحر

في عينيها
خرافة لا تنتهي
ولا تُصدّق

حكايات الجدة
تصنع من الريح
حصانًا طائرًا

عصافير الوداع
تحوم حول الذاكرة
أطياف حرة

***

أسماك الذاكرة
تسبح في وداعٍ
بلا أقفاص

في الريح
عصافير الوداع
وأطياف الذاكرة

بتلة الورد

تجاهد

والسعي جميل

حقل فزاعات

الأقمشة المهترئة

عصافير جُنّت

مخيّمُ هجرة

أطفالٌ بأحذيةٍ عتيقة

الحربُ جرحٌ

نجمةُ اللّيلِ

ساكنةٌ في عُلوّها

تغفو ببطء

على أصابع يده

فراشة

وضوء

قميصه خفيف

يحمل ظلّ الذكريات

وابتسامة

يستحمّ بضوء الشمس

رجل في الخمسين

من الربيع

بيني وبينه

نفسٌ لا تُسمَعُ، لكن

تحرّك قلبي

على ظهر الغيم
رسائل من الله
وصلاة

عطرٌ برتقالي
حملته الريح
برسالة

طبقٌ باردٌ
واثنان في صمتٍ
يتنفّسان

ساقٌ تلفُّ السّاق
والغيمة
مبللة

تعضُّ أذن الحب
وتذكرُ—يده كانت
ظلًا على القلب

لا أحد الآن
لكن الوسادة تحفظ
تنهيدة

ملاءات السرير

تملأها

روائح الحب

الدّم في كل مكان
الهرّ يموء
كانت امرأة حادة

الظّلامُ بعيد
الرائحة نتنة وقوية
وجوه مبتسمة في الأرجاء

عناقيد الدوالي
تدلت تحت السماء
والزهر يتفتح

ليس كتابًا، بل نَفَسٌ مكتوم في القلب، تناثر على الورق.

هنا مشيتُ بين الذاكرة والحلم، بين من رحلوا ومن

مروا، كتبت كي لا أنسى، ونسيت كي أكتب من جديد.

أطياف حرّة، لعلها تجد قارئًا يحررها أكثر.